

تَفْرِيع

كَلَامُ نَوَاجِيهِ

مُوجَّهَةٌ لِذُورِ الْحَدِيثِ بِالْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

مُحَمَّدُ بْنُ هَارِي الْمَدِخَلِيِّ

حَفَظَهُ اللَّهُ



miraath.net

ميراث النبيا

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِّرْ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُقَرَّمَ لَهُمْ تَسْجِيدًا

الحكمة توجيحية موجبة لدور الحديث بالملحة المغربية

ألقاها

فَقِيلَ لِنَسِيخِ الْكِتَابِ
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ

- حفظه الله تعالى -

يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر صفر عام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية،

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بها الجميع.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ - ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه لیسرنا أن نلتقي في هذا الليلة، ليلة الخميس ليلة التاسع عشر من شهر صفر عام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، نلتقي عبر الهاتف في هذه الكلمة بأبنائنا في دور الحديث ببلاد المغرب كما بلغني فإن الاتصال مُنسَّق مع الجميع، وأسأل الله - جلَّ وعلا - أن ينفعنا جميعًا؛ أنا وأبنائي وإخوتي أين ما كان المستمعون.

إنه لا يخفى علينا جميعًا ما يمرُّ به العالم الإسلامي من الفتن والمصائب والويلات التي نزلت ببلاد الإسلام والمسلمين، لا يخفى ذلك على كل عاقلٍ يُتابعُ فيسمعُ ويرى ما يجري على ساحة بلاد الإسلام، وإنه ليتفطر القلب ويتقطع أسى وحُزنًا على ما حلَّ ببلاد الإسلام من هذه البلايا ونزل بها من هذه الرزايا، وسلَّمَ الله - سبحانه وتعالى - بُلدانًا أخرى.

ونسأله - سبحانه وتعالى - الذي سلَّمَ هذه البلدان الأخرى أن يرفع ما نزل بهذه البلدان من بلاد المسلمين؛ ما نزل بالعراق، وما نزل ببلاد الشام، وما نزل أيضًا من قبل ذلك من تسلُّط اليهود أعداء الله ورُسُلِهِ على بلادِ مسرى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ بلاد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، أعني بذلك فلسطين الغالية على قلب كلٍّ موحِدٍ ومؤمنٍ، كذلك ما

نزل بإخواننا في مصر، ولكنَّ اللهَ رفعَ عنهم وسلّم، ونسألهُ أن يرفعَ عن بقيّةِ بلدان المسلمين، وأيضا ما نزلَ ببلاد اليمن، كُلُّ ذلك لا يخفى على من يُتابع أحوالَ بلاد الإسلام وأحوالَ المسلمين، وإنه بقدر ما يحصلُ له الألم فإنَّ المسلم لا ينقطعُ أمله ورجاؤه في الله - تبارك وتعالى -، ولا يئس من روح الله - جلَّ وعلا -، بل هو عظيمُ الأمل، عظيمُ التعلُّق بالله - سبحانه وتعالى - في أن يرفع ما نزل بأمة الإسلام.

ولكن إذا عُرِف ذلك فينبغي للمسلم أن يعرف الأسباب فيجتنبها ويدعو إخوانه المسلمين إلى اجتنابها، وأن يعرف ويتلمس أسباب الرَّفع؛ يتلمس العلاج الذي يؤدي إلى رفع ما نزل، وكشف ما حلَّ بالمسلمين.

وإنه مما لا شكَّ فيه عند كلِّ مسلم أن الله - سبحانه وتعالى - ما أنزل بعباده ما أنزل إلا بسببِ ذنوبهم، فهو - سبحانه وتعالى - اللطيفُ الخبيرُ، وهو - سبحانه وتعالى - الرحيمُ الغفورُ، وهو - سبحانه وتعالى - الذي يعلم ما يصلح عباده، وهو - سبحانه وتعالى - الذي يتلي عباده ليعلم من هم الصابر والذاكر له - جلَّ وعلا - في كلِّ أحواله، ويعلم الرجاء إليه - سبحانه وتعالى -.

فالله - جلَّ وعلا - يُنزل بعباده ما يُنزل ابتلاءً واختباراً وتذكيراً وإيقاظاً لهم من غفلتهم وهوهم وانحرافهم عنه - سبحانه وتعالى - وعن دينه وشرعه، فيُنزل ما نزل بهم ليذكروه ويكثرُوا من الرجوع إليه - سبحانه - ويستغفروه ويتوبوا إليه، فإنه ما نزل بالعباد من مُصيبَةٍ إلا بما كسبت أيديهم، وهو - سبحانه وتعالى - يعفو عن كثير، ولو يؤاخذنا - جلَّ وعلا - بما كسبت

أيدينا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكنه - سبحانه وتعالى - أَلطف وأرحم بعباده من الوالدة بوليدها، فله الحكمة البالغة والحُجَّة الدامغة - جَلَّ وعلا - في جميع أفعاله - سبحانه وتعالى -، فأفعاله كلها لحكمة - سبحانه - .

ومن هذه المصائب يخرج الخير ويخرج أيضًا الرجوع إلى الله - سبحانه وتعالى - فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - قد أخبرنا في كتابه بقوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾
الرعد: ١١ ، - سبحانه وتعالى - لا والي لنا إلا الله - جَلَّ وعلا - .

فهذه الفتن وهذه المصائب نعم هي شرٌّ ولكن ليست شرًّا محضًا، فهي شرٌّ فيما نراه نحنُ، وفيما ينزلُ بنا من القتل، وسفك الدماء، وقطع الطُّرق، ونهب الأموال، وانتهاك الأعراض، وإفساد الديار، ونحو ذلك، ولكن هي بالنسبة لتقديرِ الله خير، فإنَّ الشرَّ ليس إليه - سبحانه وتعالى - كُلُّ قضاءِ الله وقدره، كُلُّه خير وكلُّه لحكمة بالغة، يفعلُه - سبحانه وتعالى - لحكمة بالغة - جَلَّ وعلا - .

■ ومن أعظم هذه الحُكم أن يرى تضرُّع عباده، وأن يرى رجوع عباده، وأن يرى دُعاء عباده، وأن يرى افتقار عباده، وأن يرى لجوء عباده إليه، فهو يُحبُّ ذلك كله - سبحانه وتعالى - .

■ ومن ذلك أيضًا ابتلاء المسلمين بالمجرمين، ويرفع الله - سبحانه وتعالى - ذوي الإسلام والإيمان والاستقامة يرفعهم درجات بهذا الابتلاء، حينما يتليهم بتسليط مثل هؤلاء لحكمة بالغة - سبحانه وتعالى - قضاها، يستوجب الحمد على اقتضاها - سبحانه وتعالى - .

فالعاقِل إذا نظر في مثل هذا ورأى لهج الناس وإكثارهم من ذكر الله - جلّ وعلا - والرجوع إليه والتوبة إليه، عَرَفَ أَنَّ هَذَا مِنَ الْحُكْمِ فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - لمثل هذه المصائب على عباده، فيخرج من العسر يُسر، ويخرج من الشر خير، ويخرج من الفساد صلاح بإذن الله - تبارك وتعالى - .

يَقْوَى إِيْمَانُ النَّاسِ بِأَنَّ الْحَالَ وَاسْتِمْرَارَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ هَذَا مِنَ الْمُحَالِ، وَاللَّهُ - جلّ وعلا - يُدَوِّلُ الْأَيَّامَ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُقَلِّبُ الْعِبَادَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ خَيْرٍ إِلَى شَرٍّ ابْتِلَاءً، وَمِنْ شَرٍّ إِلَى خَيْرٍ رَحْمَةً مِنْهُ - سبحانه وتعالى - ويرفع ذلك عنهم.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ اللَّهَ - جلّ وعلا - حَكَمًا عَظِيمَةً فِيمَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ - جلّ وعلا - مِنْهَا مَا يَظْهَرُ أحيانًا لِلْعَبْدِ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّدَبُّرِ وَمِنْهَا مَا لَا يَظْهَرُ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ كُلَّهُ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»**،

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ يُرَاجِعُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ وَيُحَاسِبُهَا وَيُقْبَلُ عَلَى الْبَارِي بِالتَّوْبَةِ، وَاللَّهُ - سبحانه وتعالى - يُحِبُّ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ، وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَيْهَا - جلّ وعلا - : ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ التحريم: ٨ ، فهذا من

المقاصد ومن الحِكم التي تترتب على مثل هذه الابتلاءات، فالتوبة تكون بعد الغفلة وبعد الوقوع في المعاصي والذنوب والإغراق فيها والتوغل فيها والإعراض عن الله - جلّ وعلا - وعن دينه وشرعه، فلا يُمكن أن تصلح الأحوال إلا بالرجوع إلى الله - سبحانه وتعالى -، والاستقامة على أمره ونهيه، فحينئذ تصحُّ القلوب وتصحُّ الأعمال، وإذا صحَّت القلوب وصحَّت الأعمال وصفت من الشرك والبدع ومن الفجور والفسق، حينئذ يصلح الله - سبحانه وتعالى - الأحوال ويبدِّلهم من بعد الخوف أماناً، ويبدِّلهم من بعد الجوع شبعاً، ويبدِّلهم من بعد المرض صحةً وعافية، ويبدِّلهم من بعد الفقر غنى - سبحانه وتعالى -، فمن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله له دُنياه، وأصلح له أخره.

فالواجب على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة أن ينظر في الأسباب التي أدت بنا معاشر المسلمين إلى هذه الحال، والتي أدت بنا إلى نزول مثل هذه الشرور في بعض بلدان المسلمين، فيحذرهما هو في نفسه، ويحذّر منها إخوانه في بلده، ويضرب لهم الأمثال بالواقع لعلهم يحذرون، ويذكّر إخوانه الذين نزل بهم ما نزل، يذكّرهم بالله - جلّ وعلا - لعلهم أيضاً يذكّرون فيستقيموا وتستقيم لهم الأحوال.

وعليه في هذا أن يسلك طريق الشرع الحنيف، أن يتأمل كتاب الله - جلّ وعلا - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلّم -، وما جرى في الأعصار السابقة لأُمّة الإسلام، وما نزل بها من الفتن والمحن والبلايا والخطوب، وكيف رفعها الله - سبحانه وتعالى - عنها، ويتأمل في الأسباب

التي بسببها رفع الله - جَلَّ وَعَلَا - ما نَزَلَ بِأُمَّةٍ الإسلام في أعصارٍ سَبَقَتْ، ويدعو الناس إلى ذلك أن يتدَبَّرُوا في هذا ويعملوا به، وأن يحذروا من مُخَالَفَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ كَمَا قُلْنَا حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، فهذا هو الأمر الأول؛ فعليه أن يَنْظُرَ في كتابِ الله، وسُنَّةِ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إذا كان من أهل النظر، وإن لم يكن من أهل النظر استمع لكلام أهل العلم الذين يُبَيِّنُونَ ذلك من كتاب الله ومن سُنَّةِ رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهكذا يقرأ في الأحداث السابقة التي كانت في الأعصار الماضية في أُمَّة الإسلام، كيف نَزَلَ بهم البلاء وكيف رفعه الله - سبحانه وتعالى - عنهم.

فإنَّ المصلحين في كُلِّ زمانٍ ومكان يقومون في مثل هذه المحن يدعون إلى الله - جَلَّ وَعَلَا -، إلى إخلاص العبادة له - سبحانه وتعالى - وتجريد التوحيد له، والاستقامة على سُنَّةِ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومُتَابَعَتِهِ - عليه الصَّلَاة والسلام - والأخذ بِسُنَّتِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والحذر من البدع والمُحَدَّثَاتِ فإنَّ هذه هي طريق الشرِّ، المُخَالَفات هي طريق الشرِّ وطريق نزول العقوبات: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ ^{النور: ٥٥}
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ^{الأنعام: ٨٢}.

فإنَّ الله - جَلَّ وَعَلَا - وَعَدَ الَّذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض، فلا بُدَّ من الإيمان والعمل الصالح، فليُعلم أنَّ الأمن والأمان لا يمكن أن يتحقق إلا بتصحیح الإيمان: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا﴾ فلا بُدَّ من تحقيق الإيمان، ولا يُمكن أن يكون هذا إلا بتحقيق

التوحيد، وتجريد التوحيد، وهذا لا يكون إلا بدعوة الناس إليه، وبيان أنواع الشرك لهم، كبيرها وصغيرها حتى يحذروها، فإذا هم حققوا التوحيد وقاموا بالأعمال الصالحات، أقاموا الصلاة وأدّوا الزكاة وصاموا رمضان، وهجروا المنكرات والمعاصي، وحاربوا أهلها ومن يدعو إليها في جميع أبوابها أصلح الله شأنهم، وأقام لهم دولهم وأعاد إليهم أمنهم، ودرّت عليهم الخيرات وجلبت إليهم الأرزاق من كل مكان، لا شيء إلا لأجل هذا المقصد العظيم وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فيبدلهم من بعد الخوف أمنا، ومن بعد الجوع شبعاً، ويقيم لهم دولة الإسلام التي تنتظم معها حياة المسلمين.

وليُعلم أنّ ما يدعى إليه في هذا الأعصار من الدعاوى الباطلة لا يمكن أن تقوم عليها دولة صحيحة سالمة من الأمراض، لا ديمقراطية ولا علمانية ولا ما شاكلها، فهذه لم تكن حلاً في يوم من الأيام، فقد كانت بعض هذه الدول التي سقطت تزعم أنها دول علمانية، وإن لم تُصرح بهذا ولكن تعدل إلى قولها؛ إنها دول مدنية! والدولة المدنية هي هذه الدولة العلمانية معناها الدولة العلمانية، وهذا لا يمكن أن يصلح بحال من الأحوال، لا ديمقراطية ولا شيوعية ولا علمانية ولا قومية إنما تكون صورة الصلاح بإقامة الإسلام، الإسلام الصحيح الذي بعث الله به عبده ورسوله محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فدعا إليه وبيّنه غاية البيان، وتركنا - عليه الصلاة والسلام - في الأمر هذا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وحينما ندعو إلى الإسلام، وإقامة دولة الإسلام، وتطبيق الإسلام نُريدُ به هذا لا ما تدّعيه هذه الدعوات الكاذبة، وهذه الجماعات المنحرفة عن السبيل التي ضلّت وأضلت كثيراً عن سواء السبيل.

هذه الدعوات التي هي الآن على الساحة هذه شوّهت صفاء الإسلام، وجمال الإسلام ونقاء الإسلام، فلا جبهة النصرة ولا داعش؛ الدولة الإسلامية التي يقولون في العراق والشام، ولا شيء مما هو على شاكلتها ومما شابهها، وإنما نُريدُ بدولة الإسلام ودعوة الإسلام ما جاء به رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فالخير كل الخير في هذا: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ القصص: ٥٧، أمنٌ ورزق، إطعامٌ بعد الخوف وبعد الجوع.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخَفِطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت: ٦٧، فهذا امتنان من الله - جل وعلا - على قريش، وهو امتنان على كل من جاء من بعدهم، ﴿لَا يَلْفُ قَرْيَشٌ ۝١ إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ قريش: ١ - ٤، فامتّن عليهم بنعمة الأرزاق، وامتّن عليهم بنعمة الأمان في البلاد، فالناس من حولهم يُتخطفون وهم في أمان بسبب هذا البيت العظيم، هذا البيت المبارك، فهذه هي المنّة العظيمة علينا ويجب علينا أن نحفظها فنقوم بشكرها، وشكرها كما قال الله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٢﴾ قريش: ٣؛ إخلاص العبادة لله - تبارك وتعالى -، فتقوم الدولة الصادقة التي تُطبّق شرع الله - جل وعلا -.

وأما هذه الدعوات وهذه الجبهات وهذه الجماعات - كما يقولون - وهي في الحقيقة طوائف وفرق ليست جماعات، فجماعة المسلمين واحدة، ولكن هذه طوائف وفرق كل واحدة منها تواجه الأخرى، هذه طوائف ضلال - نسأل الله العافية والسلامة -، فلا يمكن أن تقوم دولة الإسلام على يد هؤلاء أبدًا بحالٍ من الأحوال؛ لأنهم أجهل الناس بشرع الله - جل وعلا -، وأبعد الناس عن شرع الله - جل وعلا -، وأعظم الناس محاربة لمن دعا إلى شرع الله الصحيح كما نراه ونعرفه من أحوالهم، والواقع أعظم شاهد على صدق ما نقول.

بل هذه التنظيمات وهذه الأحزاب هي التي فرّقت، وهي التي قطّعت، وهي التي زادت الشرأ، وأحدثت الويل والدمار والخراب - نسأل الله العافية والسلامة -، ودُعّاتها هم الدعاة على أبواب جهنم - عياذا بالله من ذلك - هم الذين أوقعوا بلاد الإسلام في الشرور، وهم الذين أوقعوا بلاد الإسلام في الويلات والنكبات.

كما أن الدعاة إلى الديمقراطية وإلى العلمانية، الدول المدنية - كما يقولون - أصحاب الثورات هم الذين أوقعوا أيضًا بلدان المسلمين في هذا الشر العظيم، وكما قلنا في عدد من مقالاتنا وكلماتنا اجتمع مذهبان خبيثان في هذا الذي يسمونه بالربيع العربي والذي انتهت نهايته إلى هذا الذي نراه، دعوتان خبيثتان كلاهما قامت على أمر الخروج، لكن:

➡ الأولى قامت على ثوبٍ قديم أو بصورة الثوب القديم ولبست ثوبًا قديمًا ألا وهو المذهب الخارجي، مذهب الخوارج الذين يخرجون على ولاية المسلمين، ويكفرونهم ويرون المجتمعات

كافرة، ويرون المسلمين كفارا، فيستحلون دماءهم ويخرجون عليهم، فلا سمع ولا طاعة، ولا يوفون لذي عهد بعهد، ولا يراعون في مسلم إلا ولا ذمة -نسأل الله العافية والسلامة-.

➡ ومذهب جديد ودعوة جديدة أخبث وأخبث ألا وهو دعوى الديمقراطية والحرية كما يقولون، وهي مذهب غربي فاجر كافر، تلقفه هؤلاء المغفلون وقاموا به وجاءوا يدعون إليه في بلدان المسلمين.

علموا أو لم يعلموا أن بلدان المسلمين لا يمكن أن تتفق في هذا الباب مع الكفار، في هذا المنهج الخبيث، فالتحقت النحلة القديمة الخبيثة والنحلة الجديدة الخبيثة، الأفكار الخارجية والأفكار الديمقراطية اتحدت كلها على منازعة الحكام والولادة فحصل ما حصل من الشر.

وأنا لا أتكلم في هذا من فراغ، قد تكلمت في هذا بما تكلم به العلماء من قبلنا وفي أيامنا هذه والحمد لله - سبحانه وتعالى - على توفيقه، وليعلم أنه مهما كان معصية الحاكم ما دام في دائرة الإسلام فإنه لا يجوز الخروج عليه، وإذا كفر فقد تكلمنا على ذلك كيف يُزال، ونكرر هذه العبارات حتى لا يستغل مثل هذا الكلام من في قلبه مرض، ويقول هؤلاء يدافعون عن الكفار، معاذ الله أن ندافع عن كافر، ولكن الذين تكلموا به هو كلام أهل الإسلام، فيجب على أبنائنا وإخواننا المسلمين جميعا أين ما كانوا أن يتنبهوا لمثل هذا، وليعلم أن هذه الأفعال تصد عن دين الله - جل وعلا - وتشوه صفاء الإسلام، وتشوه جمال الإسلام، فكيف تُواجه بالعلم معشر الأحبة، وهذا الذي أريد أن أدخل إليه.

فإنَّ العلم الشرعي كَشَّاف يكشف به صاحبه عن الفتن، ويعرفها إذا أقبلت، فإنَّ الفتن إذا أقبلت لا يعلمها إلا العلماء، وإذا أدبرت عرفها العامة، استوى العامة حينئذ مع غيرهم.

فالشاهد أن مثل هذه الأمور لا يكشفها إلا العلماء، وفي هذا فضل للعلم وأهله، فأحث أبنائي جميعاً وإخواني جميعاً أن يقوموا بنشر العلم الموروث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تعلمًا وتعليمًا، نشر السنة الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصحيحة في هذا الباب في أصول الدين وفي فروعها، وذلك بالاعتقاد الصحيح وتصحيح العقائد للناس حتى يرجعوا إلى الله - جل وعلا - ليحصل لهم الخير، فإذا رجعوا إليه وأخلصوا له حصل لهم المُرَاد، وحصل لهم ما وعدهم الله - سبحانه وتعالى - به في الآيات السابقات التي ذكرناها.

فيجب علينا جميعاً أن نتعلم ونعلم، فإنه لا يرفع هذا البلاء النازل بأمة الإسلام إلا العلم الشرعي والعودة إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، أقول لا يرفع عن أمة الإسلام ما نزل بها إلا نشر العلم الشرعي الصحيح الموروث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - : «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

فالخير كله في الفقه دين الله - تبارك وتعالى -، ومعرفة أحكام الله - جل وعلا -، ومعرفة شرعه - سبحانه وتعالى -، والوقوف على ما جاء في هذا الكتاب العظيم وفي هذه السنة النبوية المطهرة، فعلينا جميعاً أن نجتهد في طلب العلم، فنُصحح لأنفسنا ولإخواننا ولمجتمعاتنا.

وأنتم ترون كم يتهافت من بلدان الغرب فضلاً عن بلدان المسلمين من الشباب الأغمار بل ومن النساء حتى الصغار، يتوافدون على مثل هذه التنظيمات المنحرفة التي ظهرت مؤخراً، بزعم أن هذه التنظيمات هي دول إسلامية وهي التي ستطبق الخلافة الإسلامية، وهي التي ستقوم بتحكيم شرع الله - تبارك وتعالى - إلى آخر ما يقولونه من الدعايات المضللة الكاذبة.

أقول هؤلاء لا يبيّن لهم إلا أهل العلم، هؤلاء لا يكشف ما نزل بهم من الشُّبه إلا أهل العلم وطلبة العلم المتمكنين، فالله الله في التعلم.

وهذه الوصية الثانية التي أوصي بها :

الحرص والاجتهاد في العلم وفي طلبه، ومن تمكّن فعلية أن يحرص ويجتهد في تعليم إخوانه، فإنّ هذا البلاء لا يُرفع إلا بمثل هذا الطريق.

ومن أوضح الأدلة على هذا فتنة القول بخلق القرآن التي عصفت بالأمة الإسلامية في حِقبة من الحقب وفي فترة من الفترات، من وقف وسد باب الشر فيها؟ العلماء، ورأس هؤلاء العلماء إمام أهل السنة والجماعة قاطبة أبو عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -، فوقف في هذا الموقف المشرف حتى قال فيه علي بن المديني - رحمه الله -: **"لقد نصر الله الإسلام برجلين لا ثالث لهما"**، من هما؟ **"قال نصر الله الإسلام برجلين بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة"**، فلما عصفت فتنة القول بخلق القرآن، وقف لها علماء الإسلام وتقدمهم أحمد في هذا، ولم يصبر أحدٌ مثل ما صبر - رحمه الله تعالى -، واجهها أشد المواجهة، هو وعلماء الحديث والسنة والأثر

وبينوا ضلالها وكشفوا عوارها، ومع هذا وقفوا أيضًا سدًا منيعًا في وجه من أراد الثورة والخروج على الحاكم وبينوا أن هذا خلاف الآثار، وأن الواجب عليهم أن يصبروا حتى يَسْتَرِيحَ بُرٌّ، أو يُسْتَرَّاحَ من فاجر، وحذروهم من أن يكونوا سببًا في إراقة دماء المسلمين وقالوا هذا خلاف الآثار.

قال أحمد: **"إنا نجد في الآثار ما صلوا فلا، لا ما أقاموا فيكم الصلاة"**، أخذ يُعْظِمُ أمر الدماء- رضي الله تعالى عنه-، حتى هدّأهم جميعًا وأعادهم وثناهم عما كانوا يريدون.

فانظروا إلى فضل العلم كيف هو على أصحابه وأهله وأربابه؛

❖ فلا هو أجاب وانحرف- رضي الله عنه- في هذا الباب، لكن الله سلّمه بفضله وبرحمته ثم بسبب العلم.

❖ ولا هو أيضًا في الوقت نفسه دعا إلى الخروج على هؤلاء الحكام، بل ناظر وجادل هؤلاء الذين يقولون بالخروج بسبب هذا الأمر الذي حصل حتى أرجعهم إلى نصوص الكتاب والسنة.

فحصل الإنكار على الوجه المشروع ودفع الله- سبحانه وتعالى -به- رحمه الله تعالى- الخروج الممنوع فَحَفِظَ الدين والدنيا، واستقام الدين والدنيا.

صبر غاية الصبر على المأمون، والمعتصم، والواثق، حتى رفع الله الفتن في عهد المتوكل، فعادت الأمور إلى مجاريها، وأظهر الله السنة وأعزَّ أهلها وكَبَتَ البدعة وقَهَر أهلها، وظهر أحمد-

رحمه الله-وأهل الحديث وظهرت سنة النبي- صلى الله عليه وسلم-، ولم يحصل الشر الذي دعا إليه من دعا بدعوى الإنكار على هؤلاء الولاة على الطريقة التي رآها، وذلك لما وقف أحمد- رحمه الله-مُخطئاً لهم في هذا الباب فتبع الناس أحمد.

فانظروا إلى بركة العلم وانظروا إلى بركة علماء السنة، كيف تكون على المجتمعات، فصحيح الله به الباطل وظهر الحق، وقمع الله به البدع وأظهر السنة، وأقام به دولة السنة، وقطع به الطريق على من أخطأ في الفهم وأراد الخروج وكاد أن يوقع المسلمين في مصيبةٍ أعظم مما هم فيه، وذلك حينما قالوا له: " **ألا ترى ما نحن فيه؟ قال: هذا خاص هذه فتنة خاصة**"؛ فتنة العلماء خاصة، نزل بي أنا ونزل بمن معي من العلماء هذه فتنة خاصة، لكن الفتنة العامة دماء المسلمين إذا نزل السيف فيهم لا يكاد يرتفع وهذا الذي ترونه أنتم الآن، انظروا في ليبيا، انظروا في بلاد الشام، انظروا في بلاد العراق، انظروا في بلاد اليمن وهكذا.

فالشاهد؛ انظروا إلى بركة العلماء كيف يُنكرون ويُصححون من غير أن يترتب على إنكارهم وتصحيحهم ضررٌ أعظم، بل الذي يترتب على إنكارهم نفعٌ أعظم، وذلك لما يعلمه الله-جلا وعلا-من صدقهم، وبتوقيه-سبحانه وتعالى-لهم وبفضل علمهم الذي نور الله به قلوبهم، فكان أحمد بركة-رحمه الله تعالى-، وهكذا معه علماء الحديث كانوا من خلفه كانوا بركةً على أمة الإسلام؛ إذ أنكروا هذه المقالة الكفرية وردُّوا على أصحابها وجادلوا أربابها حتى أظهر الله الحق والسنة، ووقفوا في وجه من أخطأ في الاجتهاد وأراد الخروج فعصم الله بهم الدماء، وأمن بهم

السبل، وأقام بهم الحدود، وحُفظت بيضة الإسلام، وحُميت دولة الإسلام، وقام بعد ذلك الخليفة الذي انتصر للسنة وأهلها وأظهر السنة وأهلها بأمر الله -تبارك وتعالى-.

وهكذا في الموقف الآخر في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- لما حصل ما حصل من فتنة التتار، فرأى أنَّ الناس لا يمكن أن يقابلوا هؤلاء إلا بتصحيح الاعتقاد ورأى ما هم فيه من الشرك والبدع والخرافات، وما هم فيه من البُعد عن دين الله -تبارك وتعالى-، الدين الصحيح الذي جاء به رسول -صلى الله عليه وسلم-.

فسعى أولاً إلى التصحيح لهم في عقائدهم، والتصحيح لهم في اتباعهم في معاملاتهم، ثم بعد ذلك جاء النصر من عند الله -تبارك وتعالى-، وإلا كانوا قبل في أول الأمر يقولون:

يا خائفين من التتر ❀❀❀ لوفوا بقبر أبي عمر

فانظر إلى الشرك بالله -تبارك وتعالى-، كيف يتصر مثل هؤلاء على عدوهم! ما يمكن، فلما صحَّ الاعتقاد وحصل الاتباع لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قام شيخ الإسلام خير قيام في الناس، ودعا السلاطين في زمانه في الشام وفي مصر، بل حرَّضهم في مصر على القتال غاية التحريض، وجيَّش معهم الجيوش، ودعا الناس بعد هذا التصحيح لعقائدهم ومعاملاتهم دعاهم إلى القتال، فحصلت شُبْهة؛ أن بعض التتار أسلموا، كيف نقاتلهم؟! وأنهم في الحقيقة إنما أسلموا على مذهب الروافض، فقال: "لو رأيتموني معهم ولو كان على رأسي المصحف فقاتلوني معهم".

فشرح الله صدور الناس وقامت المواجهة بينهم وبين أعدائهم، وما هي إلا أوقات قليلة وزمن يسير حتى أظهر الله- سبحانه وتعالى- أهل الإسلام، وقمع أهل الباطل من المرتدين هؤلاء والكفار هؤلاء الأصليين، قمعهم قمعًا ظاهرًا بيّنًا، وأظهر الله- سبحانه وتعالى- أمة الإسلام على من حاربهم وبغى عليهم، فقامت دولة الإسلام في بلاد الشام مرة أخرى، وانكسر التتار وأظهر الله دينه وأعزّ جنده وأعلى كلمته- سبحانه وتعالى-، وذلك بفضل الله ورحمته، ثم بفضل وجود العلماء الذين يصححون ويعلمون الناس ويبينون لهم.

وهكذا نتقل إلى المثال الثالث؛ عهد شيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى- كيف كان، حينما كان في زمانه الشرك والبدع والجهل بتعاليم الإسلام كلها، قام يدعو إلى الله- جل وعلا- بالْحُجَّةِ والبرهان كما كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، لم يَقُمْ يدعو إلى دولة ولا يريد قيام دولة، وإنما قام يدعو إلى إقامة الدين وتصحيح الدين وإعادة الناس إلى ما كانوا عليه في عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وخلفائه الراشدين وصحابته المهيدين- رضي الله تعالى عنهم أجمعين-، فدعاهم إلى تصحيح الاعتقاد وترك الاعتقاد في هذه الأشجار والأحجار والغيران، وما يعتقدونه في بعض الموتى والأموات المقبورين ويستنجدون بهم وبعض الصالحين ونحو ذلك، فدعاهم إلى تصحيح الاعتقاد أول ما دعاهم إلى هذا، فلما استجاب له من استجاب، بدأ- رحمه الله تعالى- ينظم الدروس ويُعلم، فغاض ذلك أهل الباطل فتماثروا عليه وقاموا بمحاربته ومحاربة من أجابه وعلى رأسهم الإمام محمد بن سعود- رحمهم الله جميعًا-، فدافعوا عن أنفسهم وعن أموالهم وعن حريمهم، فلم يقاتلوا ابتداءً وإنما قاتلوا دفاعًا

عن النفس والحُرمة وهذا فيه أعظم رد على من يفترى على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وعلى دعوته وأنهم خوارج! وإنما في الحقيقة قام داعيةً إلى الله - سبحانه وتعالى -.

فلما صلّحت الأحوال أقام الله - جل وعلا - لهم دولة الإسلام التي ترونها وتعرفون حالها، قامت في أدوارها الثلاثة؛ الدور الأول والدور الثاني وها نحن في الدور الثالث نتفياً ظلّاتها بسبب هذه الدعوة المباركة، بفضل دعوة التوحيد؛ دعوة الناس إلى دين الله - تبارك وتعالى -، لما صلّحوا في أنفسهم أصلح الله - سبحانه وتعالى - لهم دنياهم، ونسأل الله - جل وعلا - أن يصلح لنا عنده آخرتنا إنه جوادٌ كريم.

قام يدعو إلى الله - جلا وعلا - فعلم أول ما علم هو في نفسه طلب العلم حتى تأهل ثم بعد ذلك قام يدعو، ويبيّن للناس بهذا العلم الذي منّ الله - سبحانه وتعالى - عليه ما هم فيه من الضلال والباطل.

ومن هنا نعلم أنّ أي دعوة لا تقوم على العلم الشرعي فليست بدعوة صحيحة، لأن الله - جل وعلا - يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

وَمَثُوبَكُمْ ۝ ١٩ ۝

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، كما بوب على ذلك الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحه بقوله: "**باب العلم قبل القول والعمل**"، فلا بد في أي دعوة من العلم الشرعي الصحيح الموروث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فيصح حينئذٍ العمل، فالعلم مصحح

للعمل: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، فهذه الدعوات التي لا تقوم على علم لا ينتفع الناس بها ويكون ضررها أكثر؛ لأنها تقوم على الأهواء وعلى العواطف العواصف التي تعصف بأمة الإسلام .

فالواجب علينا جميعاً معشر الأحبة أن نعي أهمية العلم حتى في ظروف الفتن، حتى في ظروف القتال، حتى في ظروف الحروب، حتى في ظروف المصائب لا يُغفل عن العلم. ولنعلم جميعاً أن المخرج من هذا البلاء هو بأن نعلم ما أوجب الله - جل وعلا - علينا جميعاً مما حرمه - سبحانه وتعالى - علينا جميعاً، فنأتي ما أوجب ونَحْذَرُ مما حرم علينا، فبركة العلم عظيمة وها أنا قد ضربت لكم ثلاث صور مُتفاوتة:

■ الصورة الأولى في القرن الثالث.

■ والصورة الثانية في القرن السابع وبعض الثامن.

■ والصورة الثالثة في القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر ولا نزال فيها إلى يومنا هذا.

فلا بد لطلبة العلم حتى مع الفتن من التعلم لأنَّ المخرج من الفتن هو العلم، فإنه نور يقذفه الله - سبحانه وتعالى - في قلوب العباد، يخرجون بذلك بإذن الله - تبارك وتعالى - من الحيرة والظلام والضلال.

في ظلمة الجهل البهيمية

لئلا كالبهيمية

بهما قل يا بهيمية



فالشرح أعظم مُرشد

والعقل يتلوه ولولاه

فاتبعهما ولن لحاك علي

الآن لو تقول لهم: تعلموا، قال الناس بهم الفتن وفيهم البلايا وفيهم الحروب، وأنت تدعو تعلموا تعلّموا!

نعم ليخرجوا من هذه الفتن ومن هذه البلايا، فبركة أهل العلم وعلماء السنة على المسلمين عظيمة جداً في جميع النواحي؛ في دينهم ودنياهم وأخراهم، في جميع الأعصار واختلاف الأمصار فلا يصلح الناس إلا بالعلم، "لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها وما صلّح به أولها هو الذي يصلّح به آخرها"، فأحث أبنائي وإخواني جميعاً على الاهتمام بهذا في أحلك الظروف، وليعلم انه هو المخرج الوحيد من هذه الفتن التي تنزل بأمة الإسلام.

والوصية الثالثة:

معرفة مقدار علماء أهل السنة، علماء السنة والأثر يجب أن يُعلم لهم قدرهم، وأن تُحفظ لهم منزلتهم، وأن تُعرف مكانتهم، وأن يُلتفت حولهم، وأن يُؤخذَ عليهم، وأن لا يُتقدّم بين أيديهم، وأن تُصان أعراضهم، وأن يُظنّ بهم الظن الجميل ولا يُظنّ بهم السوء، فإن هؤلاء هم الأمان بإذن الله - تبارك وتعالى - لأمة الإسلام.

هؤلاء في جميع الأعصار واختلاف الأمصار لا نرى إلا الأثر الطيب لهم في كل المواقف، في كل الفتن لا نرى إلا الأثر الطيب لهم، إذا نزلت الفتن هم أول من يكشفها بإذن الله - تبارك وتعالى -.

فالواجب على طلبة العلم الحرص على الاتصال بهؤلاء العلماء والأخذ عنهم والتلقي على أيديهم وعدم التقدم بين أيديهم: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكْبَرِهِمْ، وَعَنْ أُمَنَائِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوا مِنْ صِغَارِهِمْ وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا»، إذا جاءهم من صغارهم هلكوا.

وذلك لأن هؤلاء العلماء؛ علماء الإسلام الذين شابت لحاهم في الإسلام قد استصحبوا الخبرة والتجربة، وبعُدَ عنهم سفه الشباب، وطيش الشباب، وحِدَّةُ الشباب وعَجَلَةُ الشباب، وبعُدَ عنهم أيضًا الميل للدنيا واستدلالها لهم كما تستدل الحدث الصغير في السن، ولا يستميلهم الهوى وإنما يستصحبون الخبرة والتجربة، وفيهم من الصبر والأناة وعدم العجلة ما ينفع الله به في علاج الأمور.

وأما الشباب فيغلب عليهم الحدة والطيش وعدم التجربة وعدم الخبرة، ويستميلهم الهوى وربما استدلتهم الدنيا فحصل منهم الذي يُخاف ويُحذر، فلا يزال الناس بخير ما جاءهم العلم من قِبَلِ كِبَرائِهِمْ، فإذا جاءهم من قِبَلِ صِغَارِهِمْ هَلَكُوا.

فالذي أوصي به في هذا الباب ألا يُتَقَدَّمَ بين يدي العلماء، وأن يُلْزَمَ غُرُزَهُمْ، وأن يُسَارَ في ركبهم، وأن يُتَنَظَرَ كلامهم في مثل هذه الفتن، ومثل هذه الخطوب، ومثل هذه المصائب، فإنهم إذا فعلوا ذلك قد وفقوا.

أحمد - رحمه الله تعالى - كان الناس كلهم ينتظرون كلامه في محنة القول بخلق القرآن، حتى قال مقالته فدفع الله - سبحانه وتعالى - بها، ولم يتقدم أحدٌ بين يديه، وكان الناس ينتظرون ما يقول بمحابرهم ليكتبوا عنه ما يقول - رضي الله تعالى عنه - .

وهكذا شيخ الإسلام - كما سمعتم قبل قليل - ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حتى أفتاهم بما أفتاهم، وهكذا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى -، فهكذا علماء الإسلام والسنة في كل زمان هم بركة على أهل الإسلام، وبركة على المسلمين أينما كانوا، فالواجب حفظ مكانتهم واحترامهم وتوقيرهم، والصدور عن أقوالهم وعدم التّقدم بين أيديهم، والأخذ على يد من نال منهم أو طعن فيهم فإنه لا ينال منهم من في قلبه خير، نسأل الله العافية والسلامة.

فهؤلاء مؤتمنون على شرع الله وهم ورثة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وورثة النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة، فمن طعن في ورثة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا خير فيه، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «وإنّ العلماء هم ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهماً، وإنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافرٍ» ويقول في هذا الحديث في فضلهم: «وفضّل العالم على العابد، كفضّل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب».

ففضل العالم عظيم؛ فهو ينير للناس طريقهم المعنوية، كما أن القمر ينير للناس طريقهم الحسية في الأسفار في القفار في المفاوز، فهكذا العالم يُضيء للناس وهو في الوقت نفسه عظيم

الضوء والإنارة لهم ومُترَفَعٌ عنهم، لا يناله من وسخ الدنيا التي ينال كثير من الناس لا يناله منها شيئاً، وهو مترفع عالٍ عليهم وقد تجَمَّلَ في نفسه كالقمر ليلة البدر، فهذا القمر في ليلة البدر غاية الجمال، وأيضاً مُرْتَفَعُ القمر وخيره واصل إلى الناس في الأرض يهتدون به في أسفارهم، ويستضيئون بنوره .

فالعالم مترفع عن أوساخ الدنيا ومترفع عن سفلة الناس، وفي الوقت نفسه يضيء الطريق للناس جميعاً في السير إلى الله وإلى الدار الآخرة، ينتفعون بعلمه وهو مترفعٌ عنهم وهو معهم في الوقت نفسه، بنفعه مترفع عن دنياهم لا يناله دنسها، ولا يناله وسخها، ولا يناله ما جاء فيها مما يُذم عليه من مارسها وأشغل نفسه بها.

فهذا مثل العلماء وهذا فضلهم على العابد فكيف على غير العباد؟! ولهذا جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال كما جاء في الترمذي في حديث أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - :
« فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيَصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ »، فالعلماء أثرهم عظيم، فيجب أن يُعَظَّمَ قدرهم، ويجب أن يُحْتَرَمُوا ويجب أن تُحَفَظَ لهم منزلتهم.

أسأل الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا وإياكم جميعاً هداة مهتدين، وأن يجنبنا وإياكم وجميع إخواننا المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

أحسن الله إليكم شيخنا، وشكر لكم هذه الكلمة الكافية الشافية بإذن الله سبحانه وتعالى.

الأسئلة:

السؤال:

هنا سؤال يتكرر كثيرا، وقد تقدم شيء من الجواب إليه في كلمتكم النافعة وهو كالتالي: اغتر كثير من الشباب بما يسمى داعش، بل منهم من التحق بها بدعوى نصرة الإسلام ورفع راية الجهاد، مُعتقدين أنه يجب على كل مسلم الالتحاق بهذه الفرقة والسمع والطاعة لأمرها، فنرجو من فضيلتكم كلمة تنصحون فيها هؤلاء الشباب؟.

الجواب:

هذه كما أشرت أنا إليها في أثناء كلمتي هذه، فهذه الدولة التي تسمى نفسها دولة ليست بدولة، داعش هذه التي نُحِتَ لها هذا الاسم، داعش فإن الـ"دال" من دولة، و"الألف" من الإسلام، و"العين" من العراق، و"الشين" من الشام، فنُحِتَت كلمة أو جملة الدولة الإسلامية في العراق والشام، نُحِتَت إلى داعش، اختُصِرَت في داعش، هذه لغة النحت كما يُقال مثل "طاحين"؛ يعني طه حسين، فالنحت دخلها فلما دخلها تحرّفت إلى هذا أو اختُصِرَت إلى هذا، داعش إشارة إلى دولة الإسلام في العراق والشام كما يُسمون أنفسهم.

هؤلاء شر، من شر الطوائف الآن - نسأل الله العافية والسلامة - هؤلاء جمعوا بين مذهب الخوارج الخبيث القديم وبين جهل الجُهَّال وأصحاب الأهواء المعاصرة وهم في الحقيقة تنظيمٌ

اجتمع فيه شُذَّاذ الأفكار المنحرفة عن الإسلام من كل حدبٍ وصوب فجاءوهم، وإلا فهؤلاء لا يمثلون الإسلام، وهم أبعد الناس عن الإسلام، وأجهل الناس بالإسلام.

كيف يكونوا كذلك وهم لا عالم فيهم من علماء الإسلام ولا من ورَّاث النبي -صلى الله عليه وسلم-، والدليل على ذلك ما قاله ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- لما جاء إلى الخوارج الأولى حينما قال لهم: **"جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَا أَرَى فِيكُمْ أَحَدًا مِنْهُمْ"**، دَلَّ ذلك على ضلالهم؛ إذ لم يكن معهم أحدٌ من الصحابة -رضي الله عنهم-، فدَلَّ ذلك على أن مذهبهم مُنحرف.

وهكذا هذه الطائفة التي تُسمى بداعش ليس فيهم عالمٌ من علماء الإسلام، لا من حُفَظ الحديث ولا من المفسرين ولا من الفقهاء، وإنما هم مجموعة من الخوارج الجهلة الذين هم شرٌّ على الإسلام والمسلمين -نسأل الله العافية والسلامة- وما أفادوا بشيء وإنما ضرّوا، وأساءوا سمعة الإسلام وشوّهوا صفاءه وجماله، بين المسلمين الجهلة بالإسلام وبين الكفار الذين يريدون سببًا يتعلقون به ليشوّهوا الإسلام وأهله.

فهذه الطائفة طائفةٌ مارقةٌ منحرفة، والواجب على الجميع منابذتها، وأن يقوموا في وجهها وأن يُبينوا ما عندها، من من الله عليه بالعلم أن يقوم بالبيان لحال هذه الطائفة، ولعلَّ الله -جلّ وعلا- يُيسّر ونتكلم بشيء في هذا في وقتٍ لاحق وإن كنتُ على يقين أن غيري قد تكلم أيضًا في هذا، والمقصود من ذلك أن الذين يذهبون إلى هذه الطائفة أو إلى هذه الفرقة، هذا قد غرر به،

لعله غرر به بعض من يُجالسه من الجهلة ومن أصحاب الأهواء الذين لا نصيب لديهم من العلم الموروث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نسأل الله العافية والسلامة.



المرآة:

أحسن الله إليكم شيخنا، سؤال آخر يطلب صاحبه نصيحةً لبعض الشباب الذين شغلوا أنفسهم بانتقاد الحُكَّام والسُّلطات وتتبع زلاتهم والخروج عليه في مظاهرات، في حين أن هؤلاء الشباب غير مستقيمين ومفرطون في إصلاح بيوتهم وأهليهم؟.

الرد:

الواجب عليهم هؤلاء أن يبدءوا بإصلاح أنفسهم!

هَذَا لِنَفْسِكَ كَانَ وَلاَ التَّعْلِيمُ



يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعْلَمُ غَيْرُهُ

فَإِذَا انْتَهَيْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ



ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غَيْرِهَا

كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ



تَصِفُ الرُّوَاءَ لِزِي السَّقَامِ وَعِلَّة

الواجب عليه أن يبدأ هو بنفسه فيصلح حاله، فإذا أصلح حاله بعد ذلك يُطالب الآخرين بالاستقامة، ولو صلح الناس (الرعية) لصلح الحُكَّام.

فإن الله - جلّ وعلا - لا يوليّ على الناس إلا من شاكتهم: «كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّى عَلَيْكُمْ» ،

﴿وَكَذَلِكَ يُؤَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

الأنعام: ١٢٩ فلا يُؤلَّى على الناس إلا من جنسهم، تريد الناس اليوم يأتيهم أبو بكر وعمر؟! كن أنت كعثمان وعلي والزبير ومن كان أمثالهم، -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- .

ولهذا لما قيل لعلي -رضي الله عنه-: "لماذا اختلف الرعية عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟ قال: "لأن رعية أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، ورعيتي أنت وأمثالك"، «كَمَا تَكُونُوا يُؤَلَّى عَلَيْكُمْ».

فالواجب عليه أن يكف وأن يسعى في صلاح نفسه الذي ينفعه عند الله - تبارك وتعالى -، وليُعلم أن باب السلطان ليس لكل أحد، وإنما كما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا كان يسمع منك فأتبه ولا تبده علانية، وأما المشي خلف هذه الدعوات والشعارات والثورات، فهذا إما هو طريق الخوارج - كما قلنا - وإما أن يكون طريق الديمقراطيين والعلمانيين والليبراليين ومن كان على شاكلتهم، فهو ما بين مذهب الخوارج ومذهب الكفرة الفجرة - فنعوذ بالله من ذلك - وكفى بالمرء شؤماً أن يكون هؤلاء هم المقتدى بهم عنده - نسأل الله العافية والسلامة -.

فالواجب على المسلم أن يقتفى ما جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا»، ومن اتبع الغرب في الديمقراطية الكافرة هذا يُحشى عليه - نسأل الله العافية والسلامة -.

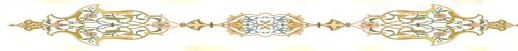
أقول من تتبع الغرب في الديمقراطية الكافرة وفي العلمانية الفاجرة فهذا يُحشى عليه - نسأل الله العافية والسلامة - لأنه تشبه بهؤلاء الكفرة، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» نعوذ بالله من ذلك.

المراد:

أحسن الله إليكم، يقول السائل بارك الله فيكم شيخنا ورفع قدركم: نحن مجموعة من الناس من قبيلة من القبائل، وضعنا صندوق يُسهم فيه كلُّ بقدر من المال شهرياً، مخصص للتعاون في حل المصائب التي تحل بأفراد القبيلة من مرض أو غيره، فما حكم هذا الصندوق شرعاً، وهل تجب فيه الزكاة إذا حال عليه الحول أفتونا مأجورين سلمكم الله؟

المراد:

لا بأس هذا إذا كان كما يقال فهذا عمل خير وبر، فلا بأس به بل هو عمل محبوب إن شاء الله - تبارك وتعالى - ولا تجب فيه زكاة.



المزاد:

أحسن الله إليكم شيخنا في مثل هذه الكلمات التي تكون عبر الهاتف يجتمع الإخوة مثلاً في بعض الأحيان يعنى بين المغرب وعشاء فيؤذن مؤذن العشاء ولمّا تنتهي كلمة الشيخ فهل ننصرف إلى المسجد أم نبقى حتى تنتهي كلمة الشيخ ونصلى جماعة في دار الحديث؟

المزاد:

إذا كان يتأتى أن تكون الكلمة بعد الصلاة طيب، وإذا لم يتأتَ وكان الجمع فيه مكان ويصلون فيه كدار الحديث، أو كدائرة أخرى حكومية وفيها مُصلى صلوا في ذلك وخصوصاً إذا كان وقت الصلاة يتسع كالعشاء فإنه يتسع إلى ثلث الليل وإلى نصفه آخر ما يكون التحديد فيه، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخر العشاء إلى ثلث الليل وإلى نصف الليل، فإذا حصل لا بأس من تقديم الصلاة ثم بعد ذلك الكلمة، وإذا لم يحصل فإنه تؤخر الصلاة إلى ثلث الليل لا بأس بذلك، فإذا غاب الشفق هذا هو أول وقت العشاء وآخر وقتها ثلث الليل ونصف الليل.

وبالغروب مغرب قد وحلاً	ووقتها يبقى امتداده إلى	☺☺☺
غيبوبة الحمرة وهو أول	وقت العشاء وفي اختيار نقلوا	☺☺☺
تأخيرها لثلث ليل إلى	نصف وكل في الصبح نقلوا	☺☺☺

هذان الوقتان الذي يحصل بهما أو فيهما التأخير الثلث أو إلى نصف الليل إلى ما قبل نصف الليل، وما بعد النصف هذا، وقت اختيار وبعده وقت اضطرار:

وفي اضطرار ببقا الليل بقي ☺☺☺ ويرخل الصبح بفجر صاوق

فالشاهد أنه إن حصل تقديم الصلاة على الكلمة هذا هو الأحسن تكون الصلاة في أول وقتها، وإلا أُلقيت الكلمة وصلوا مادام الوقت متسعاً إلى ثلث الليل يصلون، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - حصل منه ذلك.



أحسن الله إليكم شيخنا وجعل ما قدمتم في موازين حسناتكم والإخوة يخبرونكم أنهم يحبونكم في الله ويقرءونكم السلام، ويأملون منكم أن تعيدوا أو تجددوا معهم مثل هذه اللقاءات وكيف لا أن تفضلوا بزيارة لنا مرة أخرى في بلاد المغرب و جزاكم الله خيراً.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - التوفيق لنا ولكم ولهم جميعاً، كما أسأله - جل وعلا - أن يجعلنا وإياكم وإياهم جميعاً من المتحابين فيه، وأقول لهم أحبكم الله الذي أحببتمونا فيه وجعلنا الله وإياكم من المتحابين فيه، كما نسأله - جلّ وعز - أن يحسن الخاتمة للجميع وأن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه، وأن يُعزينا وإياكم وسائر إخواننا المسلمين من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ونسأل الله - جل وعلا - أن يصلح أحوالنا وأحوالكم وأحوال المسلمين جميعاً حُكَّامًا ومحكومين وأن يمن علينا وعليكم جميعاً بالتوفيق لما يحبه ويرضاه، وأن يصرف عنا وعنكم وعن بلاد المسلمين عموماً الشرور إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



وجزاكم الله خيرا.

